المجلات الفلسطينية الأدبية في العهد العثماني
«النفائس العصرية» وقصص خليل بيدس

محمد سليمان

رأت الصحافة الفلسطينية، ومنذ أيام ولادتها، ان لها مهمة تعبوية أشمل من تغطية وقائع مسيرة الحياة السياسية، والاجتماعية، في بلادنا، وتتابعها وإرتباطها بجملة حركة الواقع الاقليمي، والدولي، حولها. ورأى اصحاب الصحف ومحرروها انه اذا مثّل ظهور الصحافة في فلسطين محاكاة مستوى التغيير الذي حدث في الدولة التركية، بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨، فانه كان احد اشكال التعبير عن معاني هذا التغيير في تأكيد حقوق حرية المواطنين، وحرية ابداء الرأي والتعبير؛ وهو، في الوقت عينـه، عامـل دفع تطويري وتنموي لمختلف مجالات الحياة في الولايات العثمانية جميعها، وبضمنها فلسطين؛ وان الحرية التي اجازها الدستور في منح اصدار الصحف نبّه ابناء فلسطين الى هذه الوسيلة في تعميم الثقـافة وتطويرها. ولذلك، كانت هذه الاندفاعة الواسعة نحو الحصول على تراخيص اصدار الصحف، حيث «ان القطر الفلسطيني لم يعرف الصحافة العربية على الاطلاق قبل اعلان الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨» (١).

وفي ظل المناخات الجديدة التي وفرها قيام الدستور، استفادت فلسطين من نضج الصحافة، كوسيلة ثقافية في البلدان العربية المجاورة «حين اتيح لها ان تتناولها اداة منتجة من ادوات الثقافة التي كان أصابها شيء من التأخر النسبي في فلسطين. فقد كان بعض البلدان العربية سبق القطر الفلسطيني في هذا الميدان...»(٢).

وفي هذه الاجـواء الجديدة، تفاعلت معطيات التطور الاجتماعي الداخلي متجاوبة مع اشكال التكـون الاجتمـاعي الجـديد الذي أخذ يعبر عن نفسه في الاقاليم العربية المجاورة، حيث كانت البورجوازية العربية بلورت نفسها وفق معطيات التصنيف التي كانت قائمة حينذاك، وهذا ما ساعد على قيام الاحزاب السياسية، وتشكيل الجمعيات والأندية الثقافية.

وعلى هذا الصعيد، كتب د. عبدالرحمن ياغي في كتابه «حياة الادب الفلسطيني الحديث» ان بعض الجمعيات الادبية كان قائماً قبل اعلان الدستور مثل «جمعيات القدس»، والتي كان بضمنها: «سوسنة صهيون» التي أُنشئت سنة ١٨٧٧، ولكن عدد اعضائها كان عشرين فقط؛ وكذلك «جمعية الغيرة المسيحية لشبان الروم الارثوذكس»؛ و «جمعية الآداب الزاهرة في القدس»، التي كانت تمارس نشاطها الادبي منذ سنة ١٨٩٨، وكان رئيسها داود الصيداوي، واعضاؤها عيسى العيسى وفرج فرج الله وافتيم مشبك وشبلي الجمل وجميل الخالدي ونخله طرزي وخليل السكاكيني؛ وكذلك جمعيات عكـا التي أنشئت مبكـراً، وكـان بضمنهـا «جمعية شعبة المعارف» و «الجمعية الادبية الخيرية»